

نظام مبارك يحاول أن ينتقم

www.socialistworld.net

موقع اللجنة لأمية العمال

2011/02/03

يجب أن تأخذ الحركة الجماهيرية اتجاهاً هجومياً!

تقرير من شاهد عيان - مراسل اللجنة لأمية العمال في ميدان التحرير في القاهرة

الوقت مبكر من صباح 3 فبراير والوضع داخل وحول ميدان التحرير لا يزال متوتراً جداً وخطيراً. سمعت إطلاق نار وهناك حشود في الشوارع. ولكن غالباً ما هو ليس من الممكن أن نعرف إذا كانت من مؤيدي مبارك أو من المتظاهرين ضده. والشوارع لا تزال محاصرة.



الصحف المصرية صباح اليوم منقسمة حول أحداث أمس الدامية. والصحف الموالية للنظام تحاول أن تبرئ النظام من هجمات بلطجيي مبارك على المعارضين في ميدان التحرير. وحذرت صحيفة معارضة للحكومة حول خطر إيقاع "حرب أهلية".

وانتقلت الأحداث خلال الأيام الماضية بسرعة لا تصدق وفي مساء يوم 1 شباط/ فبراير أعلن الرئيس مبارك على شاشة التلفزيون أنه لن يرشح نفسه في الانتخابات القادمة المقررة في أيلول / سبتمبر. ولكن هذا لم يقنع المتظاهرين في ميدان التحرير الذين أصروا على أنهم سيبقون حتى يرحل مبارك. ولكن خلال وصول الناس إلى الميدان يوم أمس، كان من الواضح أن أنصار مبارك كانوا يتجمعون بالفعل ويأتون في مجموعات صغيرة.

وفوجئت في البداية أنهم تجرؤوا على التقرب من التظاهرة. ثم أصبح من الواضح أن هناك الكثير من هذه المجموعات التي كانت تنزل عبر جميع الطرق الجانبية وتشكل نوع من سلسلة حول الساحة. ورأيت عدداً من السيارات المدنية تحمل ناس مؤيدين لمبارك. والبعض منهم كان يصل حتى على ظهور الخيل والجمال. وعندما اشتعلت الاشتباكات وأصبحت عنيفة، استخدمت الفوضى للتوجه إلى الحشود وللتسبب بالرعب والارتباك.



وعندما حاولت الدخول إلى ميدان التحرير كان هناك بالفعل اشتباكات تجري على طول المحيط وانتهى بي الأمر بين مؤيدي مبارك. وقال لي بعضهم أنهم كانوا يبنون أن تكون مظاهرتهم "سلمية" ولتأييد الرئيس مبارك، لكن لم يسمح لهم بالدخول إلى الساحة. ولكن كانوا مسلحين بالهراوات ومواسير وقضبان حديدية ادعوا أنهم "وجدوها" في القرب من المكان. ومن الواضح أنهم لم يعولوا على أن يسمح لهم المحتجون بالدخول بكل بساطة إلى الميدان وهم مسلحون.

وحول منتصف النهار هاجم الحمقى المؤيدون لمبارك بعد أن حاصروا الميدان، وحاولوا أن يفرغوه من المتظاهرين، الساحة التي ترمز لنضالهم. وبدؤوا يكسرون رصف الحجارة ويرمونها على المتظاهرين. وكان هذا المشهد مجنوناً مع الصخور الطائفة مثل البرد. وأصيب الكثير من الناس. وكان المهاجمون يعملون بانضباط ويستولون على الناس ويقطعون المجموعات المحيطة بهم ويضربونهم قبل إزالتهم. واستمر هذا لمدة ساعتين. وكانت عصابات أنصار الرئاسة تهجم وتم تراجع، وتم تهجم من جديد.

ومن الواضح أن الهجمات كان قد تم التخطيط لها. لقد اختاروا الوقت الأكثر إفادة لجعل الهجوم دموياً عندما لم يكن هناك الكثير من الناس لمكافحة مبارك في الساحة. وقبل يوم، كان هناك ما لا يقل عن نصف مليون متظاهر ضد مبارك. لكن هؤلاء الذين كانوا موجودين في الميدان يوم أمس كانوا هناك لمدة أسبوع وكانوا متعبين. وبطبيعة الحال كان هذا هو سبب هجوم النظام. أنا لا أعرف كيف استطاع المحتجون المناهضون ضد مبارك البقاء والصمود لهذه الفترة الطويلة.

ويعتقد المتظاهرون أن المهاجمين نظموا من قبل قوات الأمن - لقد تم العثور على جوازات شرطية لدى العديد من المهاجمين. وأفيد على إذاعة مصرية أن أحد المظاهرات المؤيدة للرئيس كان قد قادها وزير العمل المعروف لموقفه ضد العمال. ومن الواضح أن موظفي حزب مبارك لعبوا دوراً نشطاً. ولكن هذه ليست القصة كلها، لأن البيروقراطيين والشرطة، ناهيك عن الموظفين المرتزقين، لم يمثلوا جميع المهاجمين. لقد نجح النظام في زرع اللبلة وسوء الفهم. أنا رأيت ناس عاديين يشاركون في هجمات عنيفة. وقالوا ببساطة أن حركة الاحتجاج ضد مبارك حصلت على قدر ما يمكنها الحصول عليه، وأن الحكومة قد تغيرت، وسيذهب الرئيس، والآن يريدون وضع حد للفوضى. واستخدموا شعارات مثل "مبارك: نعم، عدم الاستقرار والارتباك: لا"، و"مبارك: نعم، الفساد: لا". ولكن نتيجة لذلك نجح هؤلاء الناس المتضايقين بالتعطيل في إحداث حالة من الفوضى التامة والمشاهد التي كان من المستحيل أن تتصورها في الميدان يوم أمس عندما كانت الساحة يُدافع عنها من قبل المتطوعين.

تكتيكات واعية من قبل السلطة

وكان مؤيدو مبارك يهتفون أيضاً شعارات ضد البرادعي - "البرادعي جبان وعميل لأمریکا". وهذا بالطبع يثير السخرية لأن على مدى السنوات الثلاثين الماضية كان مبارك أحد الموظفين الأكثر ولاءً للامبريالية الأمريكية. من الواضح أنهم استخدموا هذه الأنواع من الشعارات المعادية للبرادعي في محاولة لاستمالة هؤلاء المتظاهرين الذين يشككون في دور "قادة" المعارضة.



إن ما يحدث هو نتيجة للتكتيكات الواعية من جانب السلطة. فمنذ البداية نفذ نظام مبارك حظر التجول وخلق صعوبات في نقل المواد الغذائية والسلع الضرورية الأخرى. وهذا سبب توتراً وغضباً لدى الناس. إن مبارك يسعى لخلق وضع يستخلص فيه الناس: "دعوا مبارك يبقى فقط ولا تدعوا الأمور تتطور سوءاً. سيكون أفضل حتى إذا كان الوضع يعود إلى ما كان عليه منذ فقط أسبوع!". وهذا المزاج قد استولى بالفعل على جزء من المجتمع المصري، وكان مثل هؤلاء الناس الذين استخدمهم النظام ضد المتظاهرين يوم أمس. ويأمل مبارك أن في حالة "فشل" الشرطة والجيش اتجاهاً، يمكنه الاعتماد على الآخرين للقيام بهذه المهمة.

بطبيعة الحال، إذا كان قد نجح في كسر المعارضة في ميدان التحرير ستكون هذه ضربة كبيرة ضد الحركة. وإذا كان قد شعر الناس في مظاهرة يوم الثلاثاء الحاشدة أن النظام كان يسقط، فمن الممكن الآن أن الشعور حول ميزان القوى قد تغير. فمن الصعب أن أقول ما سيحدث بعد ذلك - لأنه من المستحيل في هذه المرحلة أن نكون صورة كاملة وهو ليس واضحاً بعد ما حدث في المدن الأخرى. ولكن بالفعل المعارضة تتحدث عن بناء احتجاج ضخم آخر يوم الجمعة.



في مظاهرة يوم الثلاثاء الضخمة لإسقاط مبارك في ميدان التحرير كان هناك أشخاص من الطبقة المتوسطة ولكن عامة كان الناس والشباب من الطبقة العاملة. وكان محتمل إسقاط نظام مبارك من قبل الحركة أمراً واضحاً. ولكن الطبقة العاملة لم تكن موجودة على نحو منظم. ولم أكن أرى أي لافتات مكتوب عليها مطالب طبقية واضحة أو شعارات يسارية أو اشتراكية. لحسم الوضع من قبل الطبقة العاملة عليها أن تفرض سلطتها على الأحداث مما يتطلب حزباً جماهيرياً للطبقة العاملة، مع وجود برنامج طبقي مستقل واشتراكي.

كانت هناك أجواء احتفالية يوم الثلاثاء، حتى الشعور بالنشوة وربما بأن مهمة إزالة مبارك على وشك أن تتحقق قريباً جداً. ولكن على الرغم من أن مبارك أعلن في وقت لاحق أنه سيستقيل من منصبه في أيلول / سبتمبر، فالنظام له في السلطة عقود ولن يرحل قتال.

ولقد سهل الجيش دخول بلطجيي مبارك إلى الميدان في أمس. وبالرغم من أن آلة الدولة اهتزت بشدة في الأسبوع الماضي فإنها لا تزال تعمل بصورة أساسية. ولا يمكن للحركة الجماهيرية أن تكون غير ناشطة، بل يجب أن تقوم بهجوم! ويجب على حركة المعارضة النداء إلى المجندين العاديين ولدى الرتب المتدنية لأن تقف إلى جنب الجماهير - إلى جانب آبائهم وأمهاتهم وإخوتهم وأخواتهم! المجندين أيضاً يواجهون ارتفاع الأسعار وبحاجة إلى أجور للعيش. ويمكن تقسيم الجيش وتحبيده إذا كان النداء طبقياً، وإن دعا لتشكيل لجان للجنود العاديين وللتطهير من الضباط الرجعيين والتسلسل الهرمي، ولحقوق نقابية وديمقراطية للجنود.

لقد تسبب بلطجيو مبارك بالفوضى والإرهاب ولكنهم لم ينجح في اتخاذ ميدان التحرير الليلة الماضية. والوضع الآن مربك جداً مع كل أنواع الشائعات التي تخلق حولنا. ويمكن أن تستمر حملة النظام، وربما باستخدام الجيش الآن لـ"استعادة النظام الأمني". ويمكن أيضاً أن تثير أحداث أمس معارضة جماهيرية متجددة. ويمكن لمظاهرات يوم الجمعة الحاشدة أن تكون نقطة تحول.

وربما أن يضحى بمبارك من قبل النظام للسماح بتشكيل نظام جديد لدى قاعدة عسكرية لـ"الخلاص الوطني". واليوم "اعتذر" رئيس الوزراء عن القتال بين المتظاهرين ضد الحكومة والمؤيدين لها واصفاً إياه بأنه "خطأ فادح". وهناك تقارير تفيد بأن الجيش يستخدم سيارته لـ"الفصل بين الجانبين" في شوارع القاهرة.

الدفاع عن النفس ضد بلطجيي مبارك

الجماهير العاملة بحاجة إلى الدفاع عن نفسها من الثورة المضادة لدى البلطجيين، بما في ذلك تشكيل ميليشيات مسلحة تعمل بديمقراطية. ويمكن للجان حركة جماهيرية في أماكن العمل والمدارس والمجتمعات المحلية والكلليات، وهي مرتبطة على النطاق المحلي والإقليمي والوطني، أن تترأس الحربة في المقاومة.

ويوجد نقص غذائي الآن وارتفاع للأسعار، والتجار الكبار يستفيدون ويربحون من هذه الأزمة. وكما قال لي أحد الناشطين اليساريين فإن مبارك يحاول "القلل على الشعب بكامله". الشعب العامل بحاجة للاستيلاء على الغذاء والمصانع المنتجة الأغذية للتجارة وتنظيم توزيع الطعام ديمقراطياً ولوازم الجماهير. ويمكن لهذا البرنامج أيضاً النداء على الأقل إلى بعض الذين تمت تعبئتهم من قبل النظام ضد الثورة النامية.

الجماهير بحاجة إلى الهجوم وتنظيم تحرك عمالي جماهيري بما في ذلك الإضراب العام، وإطاحة نظام مبارك الوحشي والفساد ككل. الحركة الثورية الجماهيرية التي تقودها الطبقة العاملة والتي توجه النداء إلى الجنود للانضمام إليها، ستسير إلى القصر الرئاسي والمؤسسات الرئيسية الأخرى في الدولة وتأخذ السلطة. وينبغي وضع مبارك ورجاله للمحاكمة أمام محاكم شعبية للرد على جرائمهم ضد الشعب المصري. وينبغي أن تؤخذ ثروة النخبة الحاكمة الفاحشة من أيديها الجشعة واستخدامها لصالح الأغلبية في المجتمع. الاشتراكيون يدعون إلى تأميم الشركات الكبرى في مصر والمصارف والعقارات الكبيرة وتخطيطها الديمقراطي لتلبية احتياجات الغالبية العظمى.

ولا يمكن الثقة في أي نظام "خلاص وطني" جديد على أساس مصالح الطبقة الحاكمة والإمبريالية. إن المفتاح ليس فقط لإزالة مبارك وعشيرته على الفور، ولكن لجرف النظام الفاسد كله. ولا يجب أن تثق المعارضة الجماهيرية في أي مناورات تهدف إلى إحباط المكاسب الديمقراطية الحقيقية والتغيير الاجتماعي. الإمبريالية هي تبحث عن نوع من "الوحدة" أو "الانتقالية" للحد من التنقل والحفاظ على مستقبل مصر الرأسمالي.

لضمان القطع التام والنظيف مع النظام، حكومة تمثل الجماهير المصريين - حكومة عمال والفقراء - هناك حاجة ملحة. ومن شأن هذه الحكومة ضمان مطلب شعبي لإجراء انتخابات حرة ومباشرة واتخاذ تدابير عاجلة لتحسين مستويات المعيشة.

الاشتراكيون يدعون إلى جمعية تأسيسية لحكومة عمالية وديمقراطية، وحكومة من الأكثرية عمال المدن وعمال الأرياف. هذا هو السبيل الوحيد للفوز الدائم والكامل ولحقوق ديمقراطية طويلة بما في ذلك الحق في التجمع والإضراب وتنظيم النقابات العمالية المستقلة الديمقراطية. وهذه هي الطريقة الوحيدة لضمان الحد الأدنى للأجور المعيشة ووظائف مضمونة ومنازل لائقة والتعليم والصحة للجميع. حركة الثورة يجب أن تشمل جميع أنحاء المنطقة وتطويرها مع برنامج اشتراكي - لمصر اشتراكية واتحاد كون فدرالي اشتراكي في المنطقة، على أساس المساواة والإرادة.

